رفع ذكر الإنسان كما ورد في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

د. فوزية بنت سعيد شعوان آل مدعث
أستاذ مساعد تخصص التفسير وعلوم القرآن
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – فرع الفيصلية
جامعة الملك عبدالعزيز

1439هـ - 2018م

مقدمة

كرم الله تعالى أنبياءه ورسله بالنبوة والرسالة ورفع درجاتهم ومنازلهم عن سائر الخلق ، واختص النبي محمد صلى الله عليه وسلم برفع الذكر ، وفي هذا البحث أتطرق لمباحث مهمة تبرز هذه المنة وتظهر آثارها النافعة وقد قسمت هذا البحث إلى أربعة مباحث ، كالتالي :

المبحث الأول : المراد برفع الذكر والفرق بينه وبين رفع الدرجة ، وفيه مطلبان :
المطلب الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي لرفع الذكر
المطلب الثاني : الفرق بين رفع الذكر وعلو الدرجة
المبحث الثاني : نماذج ذُكرت في القرآن لمن رفع الله ذكرهم ، وفيه ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : رفع النبي محمد صلى الله عليه وسلم
المطلب الثاني : رفع الأنبياء عليهم السلام
المطلب الثالث : رفع المؤمنين
المبحث الثالث : أعمال مسببة للرفعة
المبحث الرابع : أثر رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
الخاتمة

المبحث الأول : المراد برفع الذكر والفرق بينه وبين علو الدرجة

وفيه مطلبان :
المطلب الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي لرفع الذكر
المطلب الثاني : الفرق بين رفع الذكر وعلو الدرجة

المطلب الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي لرفع الذكر :

الرَّفْع في اللغة : "ضد الْخَفْض .. وَيُقَال: ارْتَفع الشَّيْء ارتفاعاً بِنَفسِهِ إِذا علا.. ورَفُع الرجل يرفُع رَفَاعة فَهُوَ رفيع إِذا شَرُف، وَامْرَأَة رفيعة... والرِفعة: نقيض الذِلَّة" [1].
أما الذِكر في اللغة فيطلق على الصيت والسمعة الحسنة والشرف وفيه معنى التذكر وعدم النسيان والثناء العطر فيقال:" ذِكْرُ: الحفظ للشيء تذكره، وهو مني على ذكر. والذِّكرُ: جري الشيء على لسانك، تقول جرى منه ذِكر ، والذِّكْر: الشرف والصوت، قال الله

[1] تهذيب اللغة (2/ 216)

عزوجل: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ)[2] ، والذِّكْرُ: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين. وكل كتاب للأنبياء: ذِكرٌ. والذكر: الصلاة، والدعاء، والثناء. والأنبياء إذا حزبهم أمر فزعوا إلى ذكر الله، أي: الصلاة.[3]

"(الذِّكْرُ) وَ (الذِّكْرَى) وَ (الذُّكْرَةُ) ضِدُّ النِّسْيَانِ تَقُولُ: ذَكَرْتُهُ ذِكْرَى غَيْرَ مُجْرَاةٍ وَاجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى (ذُكْرٍ) وَ (ذِكْرٍ) بِضَمِّ الذَّالِ وَكَسْرِهَا بِمَعْنًى. وَ (الذِّكْرُ) الصِّيتُ وَالثَّنَاءُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)[4] أَيْ ذِي الشَّرَفِ. وَ (ذَكَرَهُ) بَعْدَ النِّسْيَانِ وَذَكَرَهُ بِلِسَانِهِ وَبِقَلْبِهِ يَذْكُرُهُ (ذِكْرًا) وَ (ذُكْرَةً) وَ (ذِكْرَى) أَيْضًا وَ (تَذَكَّرَ) الشَّيْءَ وَ (أَذْكَرَهُ) غَيْرُهُ وَ (ذَكَّرَهُ) بِمَعْنًى" [5].

المعنى الاصطلاحي لرفع ذكر الإنسان :

أن يعلي الله ويرفع صيت الإنسان وسمعته الحسنة علواً يجعله حاضراً في الأذهان بالثناء وذكر المحاسن ولو كان غائباً بموت أو غيره.

المراد بالإنسان المرفوع ذكره :

والمراد بالإنسان هنا المؤمن فالكافر لا برفع الله له ذكراً ولو كان عمله طيباً لعدم إتيانه بأصل الأعمال الصالحة وهو التوحيد يقول الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)[6] ويقول سبحانه ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[7]

ويقول تعالى(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [8] "وقوله: (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) يقول: فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان ، والهباء: هو الذي يرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوّة يحسبه الناظر غبارًا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه، ولا يرى ذلك في الظل"[9] و"عَن عَلِيّ بن أبي طَالب قَالَ: الهباء: ريح الْغُبَار يسطع ثمَّ يذهب فَلَا يبْقى مِنْهُ شَيْء فَجعل الله أَعْمَالهم كَذَلِك"[10] أي لا أثر له وبالتالي لا ذِكْرٌ طيب له، بل أبقى الله في القرآن الكريم ذكر بعض الكفار بالسوء تنبيهاً لشنيع تصرفهم وتحذيراً من فعلهم قال سبحانه وتعالى عن فرعون وقومه بعدما أهلكهم: (وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ)[11]

---

[2] سورة الزخرف (44)
[3] العين (5/ 346)
[4] سورة ص (1)
[5] مختار الصحاح (ص: 113)
[6] سورة النساء (116)
[7] سورة التوبة (54)
[8] سورة الفرقان (23)
[9] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (19/ 257)
[10] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (6/ 246)
[11] سورة القصص (42)

(أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)[12] " فإنه يعني بقوله: "أولئك"، الذين يكفرون بآيات الله. ومعنى ذلك: أنّ الذين ذكرناهم، هم "الذين حبطت أعمالهم"، يعني: بطلت أعمالهم "في الدنيا والآخرة". فأما في الدنيا، فلم ينالوا بها محمدةً ولا ثناء من الناس، لأنهم كانوا على ضلال وباطل، ولم يرفع الله لهم بها ذكرًا، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمَّةً، فذلك حبوطها في الدنيا. وأما في الآخرة، فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بُورًا لا ثوابَ لها، لأنها كانت كفرًا بالله، فجزاءُ أهلها الخلودُ في الجحيم"[13].

هل رفعة الذكر مكتسبة :

هي قبول من الله ورزق خصه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الخلق يقول تعالى (ورفعنا لك ذكرك)[14]، فقوله (لك) فيها تخصيص، ورفع من سواه هو رفع درجات ومنازل سواء للأنبياء أو الصالحين في الدنيا أو الآخرة.

وكما اختص الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برفع الذكر فقد كان لنبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله نصيب من ذلك الرفع وإن كان أضيق نطاقًا من النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ارتبط بذكر الرحمن تعالى وذلك في الشهادتين ويذكر في التشهد في الصلاة وفي الأذان وغيرها أما إبراهيم عليه السلام فيذكر في التشهد فقط مع كون الله تعالى قد أثنى عليه ثناءً عظيماً فقد جاء في القرآن قوله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)[15]

"قال ابن قتيبة: أي: ذِكْراً حَسَناً في النّاس مرتفعاً ، فجميع أهل الأديان يتولَّون إبراهيم وذريَّته ويُثنون عليهم، فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان"[16].

فمعنى الآخرين الواردة في قوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)[17] أي: "الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة"[18].

المطلب الثاني : الفرق بين رفع الذكر ورفع الدرجة

رفع الذكر يتعلق بسمعة الإنسان بعد مماته وما يذكر عنه من مدائح وميزات فيستمر الثناء عليه كأنه حي، أما ما يذكر به حال حياته من مدائح وثناء فتلك الشهرة ، بينما رفع الدرجات يختص بالمرتبة التي يوفق لها العبد سواء في الدنيا أو الآخرة، كما أن رفع ذكر الإنسان ما يكون بعد وفاته ، بينما رفع درجاته قد تكون في الدنيا بحسنات ومراتب إيمانية كمرتبة الإحسان وغيرها والتي يترتب عليها مراتب في الآخرة لرفعة الدرجات في الجنة

---

[12] سورة آل عمران (22)
[13] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (6/ 287)
[14] سورة الشرح (4)
[15] سورة مريم (50)
[16] زاد المسير في علم التفسير - (4 / 277)
[17] سورة الشعراء (84)
[18] المصدر السابق (4 / 496)

كالرفعة بسبب القرآن الكريم بكل آية درجة وغيرها ، فالله تعالى يقول: (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) [19]

"والمعنى أن الناس يتفاوتون في الجزاء عند الله كما يتفاوتون هنا في العرفان والفضائل، وفي الجهل والرذائل، وما يترتب على ذلك أو يترتب عليه ذلك من الأعمال الحسنة والقبيحة. وهذا التفاوت على مراتب ودرجات يعلو بعضها بعضا من الرفيق الأعلى في الدرجات العلى الذي كان يطلبه النبي - صلى الله عليه وسلم - من ربه في مرض موته إلى الدرك الأسفل الذي ورد في سورة النساء - وذكر آنفا - وهذه الدرجات لا تكون في الآخرة عطاء مؤتنفا وكيلا جزافا ، وإنما تكون أثرا طبيعيا لارتقاء الأرواح وتدليها هنا بالأعمال ; ولذلك قال بعد ذكرها : والله بصير بما تعملون فهو لا يغيب عنه شيء من أعمالهم ، وما لها من التأثير في تزكية نفوسهم التي يترتب عليها الفلاح في ارتقاء الدرجات وفي تدسيتها التي تترتب عليها الخيبة في هبوط الدركات (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) [20] فتحصيل الدرجات إنما يكون في هذه الدار ، والتمتع بها يكون في دار القرار ، أما الدرجات في الدنيا فقد ورد فيها قوله - تعالى - : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [21] وقوله - تعالى - : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) [22] وليست هذه الدرجات بوسيلة ولا مقصد مما نحن فيه ، وإنما هي درجات ابتلاء وامتحان يظهر بها التفاوت بين أفراد الإنسان.

وأما درجات الآخرة فهي المرادة بقوله - تعالى - بعد ذكر توسيع الرزق على بعض الناس وتضييقه على بعض: (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) [23] وأما رسائلها التي قلنا إن هذه آثارها وهي المعارف والأعمال ، فمنها قوله - عز وجل - : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [24] وقوله : (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ * وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)[25] وقوله - سبحانه - : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ[26])0 فهذه كلها درجات العلم والحجة، ومنها قوله في ربط درجات العمل بدرجات الجزاء: (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [27] ومنها بعد ذكر الجزاء

---

[19] سورة آل عمران (163)
[20] سورة الشمس (10-9)
[21] سورة الزخرف (32)
[22] سورة الأنعام (165)
[23] سورة الإسراء (21)
[24] سورة المجادلة (11)
[25] سورة يوسف (76)
[26] سورة الأنعام (83)
[27] سورة النساء (96-95)

: (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) [28] وقوله: (وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ) [29].

فحسبنا هذه الآيات مبينة لما قلناه من كون درجات الجزاء في الآخرة على حسب درجات الارتقاء بالعلم والعمل في الدنيا، وأن هذه الدرجات لا يمكن أن يعلمها إلا من أحاط بكل شيء علما، فلا يخفى عليه أثر ما من آثار الأعمال في النفس ، ولا عاطفة من عواطف الإيمان في القلب، ولا حقيقة من حقائق العلم في العقل، ولا يعزب عنه شيء من تفاوت الناس في ذلك، فدرجات ارتقاء الأرواح لها في علمه - تعالى - نظام دقيق أدق من نظام ميزان الحرارة والبرودة، ومن ميزان الرطوبة ، ومن ميزان ثقل السائلات في درجاتها العليا والسفلى، وما أشبه هذه الموازين بالموازين الطبيعية التي تعرف بها سنن الله - تعالى - في الكون، وإن سننه - تعالى - في نفوس الناس لا تقل عن سننه في غيرها نظاما" [30]

المبحث الثاني : نماذج ذُكرت في القرآن لمن رفع الله ذكرهم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : رفع النبي محمد صلى الله عليه وسلم

رفع الله جميع الأنبياء على سائر الخلق بدرجة النبوة و اختص النبي صلى الله عليه وسلم برفع الذكر على سائر الخلق.

يقول الله تعالى ممتناً على النبي صلى الله عليه وسلم بتمام النعم التي أنعم بها عليه (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)[31] ورفع الذكر من تلك النعم ، وقد خص بها النبي صلى الله عليه وسلم دون الخلق فالله تعالى يقول (لك) على وجه التخصيص.

و" قَوْلُهُ: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ). يَقُولُ : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ، فَلاَ أُذْكَرُ إِلاَّ ذُكِرْتَ مَعِي، وَذَلِكَ قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" [32].

"عن قتادة (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله" [33].

و"رفع ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام لا أحد يشك فيه؛ أولاً: لأنه يرفع ذكره عند كل صلاة في أعلى مكان وذلك في الأذان: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمد رسول الله.

ثانياً: يرفع ذكره في كل صلاة فرضاً في التشهد، فإن التشهد مفروض، وفيه أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

---

[28] سورة الأنعام (132)

[29] سورة طه (75)

[30] تفسير المنار - (4 / 181 – 182)

[31] سورة الشرح (4-1)

[32] تفسير الطبري (دار هجر) - (24 / 494)

[33] تفسير الطبري - (24 / 494)

ثالثاً: يرفع ذكره عند كل عبادة، كل عبادة مرفوع فيها ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن كل عبادة لابد فيها من شرطين أساسيين هما: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، ومن المعلوم أن المتابع للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم سوف يستحضر عند العبادة أنه متبع فيها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا من رفع ذكره" [34] ، وقيل في المراد بقوله تعالى (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

" أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك " [35]

"وروي عن الضحاك عن ابن عباس، قال: يقول له لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى: وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلا عبد الله جل ثناؤه، وصدق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمدا رسول الله، لم ينتفع بشيء وكان كافرًا، وقيل: أي أعلينا ذكرك، فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه، وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات"[36].

فعن "أبي هريرة قال: أتي رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بما ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا في ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه و سلم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى صلى الله عليه و سلم فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك

---

[34] تفسير القرآن للعثيمين - (32 / 7)
[35] تفسير القرطبي - (17 / 92)
[36] تفسير القرطبي - (20 / 106 – 107)

الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى صلى الله عليه و سلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه و سلم فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى صلى الله عليه و سلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه و سلم فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهو شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى"[37].

ومن خلال ذلك يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم رفعه الله معنوياً وحسياً فالحسي بحادثة الإسراء والمعراج، والمعنوي بالنبوة وبرفع ذكره في العالمين وبما يكون من رفعة منزلته على سائر الأنبياء يوم القيامة كما اتضح من حديث الشفاعة، وبانتشار دينه رغماً عن أعداءه في كل زمن فلا يلبث أي معتدٍ عليه صلى الله عليه وسلم إلا وقد أرغم الله عدوه في كل عصر ونصر نبيه وأعلى ذكره ونشر رسالته وأرغم عدوه وهذا كله يدخل ضمناً في رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني : رفع الأنبياء عليهم السلام

لم يرد نصاً قرآنياً برفع الذكر لغير النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن الأنبياء عليهم السلام يشتركون جميعاً في رفعة الدرجة المعنوية عن سائر الخلق بالنبوة والرسالة، وينفرد بعضهم بالرفع الحسي للسماء كرفع النبي صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء والمعراج، وكرفع إدريس عليه السلام ورفع عيسى عليه السلام.

يقول الله تعالى في شأن إدريس عليه السلام (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) [38] فقوله تعالى : "(ورفعناه مكاناً عَلِيّاً) فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه في السماء الرابعة ، روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة، وبهذا قال أبو سعيد الخدريّ، ومجاهد، وأبو العالية.

والثاني: أنه في السماء السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

---

[37] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، (1 / 184) حديث 327

[38] سورة مريم (57-56)

والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن الجنة في السماء الرابعة.

والرابع : أنه في السماء السابعة ، حكاه أبو سليمان الدمشقي"[39].

والذي عليه أكثر المفسرين أنه عليه السلام رفع إلى السماء الرابعة.

ومن الرفع الحسي المذكور في القرآن للأنبياء عليهم السلام رفع عيسى عليه السلام يقول تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ ولا دين إلا ودينك يظهر عليه، وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات"[40].

فعن "أبي هريرة قال: أتي رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بما ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا في ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه و سلم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى صلى الله عليه و سلم فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى صلى الله عليه و سلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه و سلم فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى صلى الله عليه و سلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري

---

[39] زاد المسير في علم التفسير - (4 / 279)

[40] تفسير القرطبي - (20 / 106 – 107)

اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه و سلم فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهو شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى"[41].

ومن خلال ذلك يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم رفعه الله معنوياً وحسياً فالحسي بحادثة الإسراء والمعراج، والمعنوي بالنبوة وبرفع ذكره في العالمين وبما يكون من رفعة منزلته على سائر الأنبياء يوم القيامة كما اتضح من حديث الشفاعة، وبانتشار دينه رغماً عن أعداءه في كل زمن فلا يلبث أي معتدٍ عليه صلى الله عليه وسلم إلا وقد أرغم الله عدوه في كل عصر ونصر نبيه وأعلى ذكره ونشر رسالته وأرغم عدوه وهذا كله يدخل ضمناً في رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني : رفع الأنبياء عليهم السلام

لم يرد نصاً قرآنياً برفع الذكر لغير النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن الأنبياء عليهم السلام يشتركون جميعاً في رفعة الدرجة المعنوية عن سائر الخلق بالنبوة والرسالة، وينفرد بعضهم بالرفع الحسي للسماء كرفع النبي صلى الله عليه وسلم في حادثة الإسراء والمعراج، وكرفع إدريس عليه السلام ورفع عيسى عليه السلام.

يقول الله تعالى في شأن إدريس عليه السلام (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) [42] فقوله تعالى : "(ورفعناه مكاناً عَلِيّاً) فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه في السماء الرابعة ، روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث المعراج: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة، وبهذا قال أبو سعيد الخدريّ، ومجاهد، وأبو العالية.

والثاني: أنه في السماء السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن الجنة في السماء الرابعة.

والرابع : أنه في السماء السابعة ، حكاه أبو سليمان الدمشقي"[43].

والذي عليه أكثر المفسرين أنه عليه السلام رفع إلى السماء الرابعة.

ومن الرفع الحسي المذكور في القرآن للأنبياء عليهم السلام رفع عيسى عليه السلام يقول تعالى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ

---

[41] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، (1 / 184) حديث 327

[42] سورة مريم (57-56)

[43] زاد المسير في علم التفسير - (4 / 279)

الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [44] اختلف أهل التأويل في معنى"الوفاة" التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية. فقال بعضهم: "هي وفاة نَوْم"، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني مُنيمك ورافعك في نومك ..... وقال آخرون: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض، فرافعك إليّ، قالوا: ومعنى"الوفاة"، القبض، لما يقال: "توفّيت من فلان ما لي عليه"، بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا: فمعنى قوله: "إني متوفيك ورافعك"، أي: قابضك من الأرض حيًّا إلى جواري، وآخذُك إلى ما عندي بغير موت، ورافعُك من بين المشركين وأهل الكفر بك..... قال آخرون: معنى ذلك: إذ قال الله يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا. وقال: هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم.... قال أبو جعفر: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل، لم يكن بالذي يميته ميتةً أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يُميتهم ثم يُحييهم، كما قال جلّ ثناؤه: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) [45] .... فتأويل الآية إذًا: قال الله لعيسى: يا عيسى، إني قابضك من الأرض، ورافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوّتك" [46].

"وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النوم، كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)[47] وقال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[48]" [49].

إذن فرفع الأنبياء عليهم السلام هو رفع الدرجة وقد ذكره الله تعالى في قوله:

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)[50]

"عن مجاهد، في قول الله تعالى ذكره: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) قال: يقول: منهم من كلم الله، ورفع بعضهم على بعض درجات يقول: كلم الله موسى، وأرسل محمداً إلى الناس كافة "

---

[44] سورة آل عمران (55)
[45] سورة الروم (40)
[46] تفسير الطبري بتصرف 6 / 455 ــ461
[47] سورة الأنعام (60)
[48] سورة الزمر (42)
[49] تفسير ابن كثير / دار طيبة - (2 / 47)
[50] سورة البقرة (253)

ففي هذه الآية الكريمة يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض كما قال: (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)[51] وقال هاهنا: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) يعني: موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك آدم، كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل، فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال: أي خبيث وعلى محمد صلى الله عليه وسلم! فجاء اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى على المسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور، فلا تفضلوني على الأنبياء" وفي رواية: (لا تفضلوا بين الأنبياء) فالجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر.

الثاني: أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع.

الثالث: أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر.

الرابع: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

الخامس: ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به. "[52]

قال الشوكاني رحمه الله :" وفي جميع هذه الأقوال ضعف ، وعندي أنه لا تعارض بين القرآن ، والسنة ، فإن القرآن دلّ على أن الله فضل بعض أنبيائه على بعض ، وذلك لا يستلزم أنه يجوز لنا أن نفضل بعضهم على بعض، فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله لا تخفى عليه منها خافية فيه، وليست بمعلومة عند البشر، فقد يجهل اتباع نبيّ من الأنبياء بعض مزاياه ، وخصوصياته فضلاً عن مزايا غيره، والتفضيل لا يجوز إلا بعد العلم بجميع الأسباب التي يكون بها هذا فاضلاً، وهذا مفضولاً، لا قبل العلم ببعضها ، أو بأكثرها، أو بأقلها ، فإن ذلك تفضيل بالجهل ، وإقدام على أمر لا يعلمه الفاعل له ، وهو ممنوع منه ، فلو فرضنا أنه لم يرد إلا القرآن في الإخبار لنا بأن الله فضل بعض أنبيائه على بعض لم يكن فيه دليل على أنه يجوز للبشر أن يفضلوا بين الأنبياء، فكيف وقد وردت السنة الصحيحة بالنهي عن ذلك؟ وإذا عرفت هذا علمت أنه لا تعارض بين القرآن ، والسنة بوجه من الوجوه ، فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض،

---

[51] سورة الإسراء (55)

[52] تفسير ابن كثير / دار طيبة - (1 / 670)

والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه ، فمن تعرّض للجمع بينهما زاعماً أنهما متعارضان ، فقد غلط غلطاً بيناً "[53]

المطلب الثالث : رفع المؤمنين

الآيات الواردة في شأن رفعة المؤمنين خاصة برفع درجتهم ولم ترد آيات تخص رفع الذكر للمؤمنين ، ومن تلك الآيات قوله تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [54] فقوله تعالى :

"(وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ درجات) في الخلق، والرزق، والقوة، والفضل، والعلم" [55].

والمعنى : "خالف بين أحوالكم، فجعل بعضكم فوق بعض، بأن رفع هذا على هذا، بما بسط لهذا من الرزق ففضّله بما أعطاه من المال والغِنى، على هذا الفقير فيما خوَّله من أسباب الدنيا، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيْد والقوة على هذا الضعيف الواهن القُوى فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا "[56].

والمقصد من ذلك الرفع هو الابتلاء يقول تعالى : "(لِيَبْلُوَكُمْ) نصب بلام كي، والابتلاء الاختبار، أي ليظهر منكم ما يكون غايته الثواب والعقاب ، ولم يزل بعلمه غنيا، فابتلي الموسر: بالغني وطلب منه الشكر، وأبتلي المعسر بالفقر وطلب منه الصبر"[57].

وذلك كقوله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[58].

ومن الآيات الكريمة في رفع درجة المؤمن قوله تعالى (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [59] فقوله تعالى " (هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ) أي ليس من اتبع رضوان الله كمن باء بسخط منه.

قيل: (هُمْ دَرَجاتٌ) متفاوتة، أي هم مختلفوا المنازل عند الله، فلمن ابتغى رضوانه الكرامة والثواب العظيم، ولمن باء بسخط منه المهانة والعذاب الأليم. ومعنى"هُمْ دَرَجاتٌ": أي ذوو درجات ، أو على درجات، أو في درجات، أو لهم درجات.

وأهل النار أيضا ذوو درجات، كما قال: (وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح) فالمؤمن والكافر لا يستويان في الدرجة، ثم المؤمنون يختلفون أيضا، فبعضهم أرفع درجة من بعض، وكذلك الكفار والدرجة الرتبة، ومنه الدرج، لأنه يطوى رتبة بعد رتبة. والأشهر في منازل جهنم دركات، كما قال: (إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)

---

[53] فتح القدير للشوكاني (1 / 362)
[54] سورة الأنعام (165)
[55] فتح القدير للشوكاني - (3 / 11)
[56] (تفسير الطبري) - (12 / 288)
[57] تفسير القرطبي - (7 / 158)
[58] سورة الزخرف (32)
[59] سورة آل عمران (162-163)

(60) فلمن لم يغل درجات في الجنة، ولمن غل دركات في النار، قال أبو عبيدة: جهنم أدراك، أي منازل، يقال لكل منزل منها: درك ودرك. والدرك إلى أسفل، والدرج إلى أعلى" (61).

والآيات في هذا الشأن كثيرة منها قوله تعالى : وتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ الأنعام) (62) .

وقوله تعالى : (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)(63).

والمراد بها جميعاً رفع المنزلة والدرجة لا رفع الذكر.

المبحث الثالث : أعمال مسببة للرفعة

يحب الإنسان بطبعه الرفعة والشرف، وكما تقدم فإن الله تعالى اختص النبي صلى الله عليه وسلم ببقاء ذكره حتى قيام الساعة فرفع ذكره دون سائر الخلق، أما ما يخص المؤمنين فهو ابتغاء رفعة الدرجات التي هي بيد الله تعالى، يلتمسها العبد بأعمال صالحة إن كتب الله لها قبولاً نال العبد رفعة الدرجة، ومن الآيات الكريمة الدالة على ذلك قوله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا)(64)

فالمراد أن من جعل همه الآخرة رزقه الله فيها درجات ، وتلك الدرجات متفاوتة فعن " قتادة، قوله: (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) : أي في الدنيا (وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا) وإن للمؤمنين في الجنة منازل، وإن لهم فضائل بأعمالهم، وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ بينَ أَعْلَى أَهْلِ الجَنَّةِ وأسْفَلِهِمْ دَرَجَةً كالنَّجْمِ يُرَى فِي مَشارِقِ الأرْضِ ومَغَارِبها".(65)

وأعظم أعمال الآخرة هو التوحيد والإيمان يقول تعالى : (يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)(66)

فقوله تعالى :

"(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) يقول تعالى ذكره: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم، فيما أمرهم به من التفسح في المجلس إذا قيل

(60) سورة النساء (145)
(61) تفسير القرطبي - (4 / 263)
(62) سورة الأنعام (83)
(63) سورة يوسف (76)
(64) سورة الإسراء (21-18)
(65) (تفسير الطبري) - (17 / 412)
(66) سورة المجادلة (11)

لهم تفسحوا، أو بنشوزهم إلى الخيرات إذا قيل لهم انشزوا إليها، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به "[67].

فالامتثال لأوامر الله تعالى وتحقيق الإيمان ، وتحصيل العلم النافع بثمرته وهو العمل بما عَلِم كل تلك الأعمال توجب رفعة الله لدرجة العبد في الآخرة ، فالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل ، وذكر الله تعالى من جملة ما يرفع الله به الدرجات يقول تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ[68]) () "قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه"[69].

فقد " عرف أن ما يطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب والعمل الصالح يَرْفَعُهُ) ومعنى قوله: (إِلَيْهِ) إلى محل القبول والرضا وكل ما اتصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود، أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلا حكمه والكلم الطيب كلمات التوحيد أي لا إله إلا الله، وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء يذكر ويؤنث. والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد، وقيل: الرافع الله والمرفوع العمل أي العمل الصالح يرفعه الله ، وفيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه ، وقيل : العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أي من أراد العزة فليعمل عملاً صالحاً فإنه هو الذي يرفع العبد" [70] .

ولمكانة العمل الصالح وفاعله العظيمة عند الله أخبرنا تعالى أن السماء والأرض تبكي حال انقطاعها لوفاة فاعلها، يقول تعالى:

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)[71]

"عن سعيد بن جُبير، قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه; وإذا فقده مُصَلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض" [72]

---

[67] المصدر السابق (23 / 246)
[68] سورة فاطر (10)
[69] المصدر السابق (20 / 445)
[70] تفسير النسفي - (3 / 163)
[71] سورة الدخان (29)
[72] (تفسير الطبري) - (22 / 34)

إذن التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة من فرائض ونوافل وذكر الله تعالى والعلم النافع كلها من الأعمال المسببة لرفعة الدرجات يوم القيامة .

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ[73]) () "قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه"[74].

فقد " عرف أن ما يطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب والعمل الصالح يَرْفَعُهُ) ومعنى قوله: (إِلَيْهِ) إلى محل القبول والرضا وكل ما اتصف بالقبول وصف بالرفعة والصعود، أو إلى حيث لا ينفذ فيه إلا حكمه والكلم الطيب كلمات التوحيد أي لا إله إلا الله، وكان القياس الطيبة ولكن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا التاء يذكر ويؤنث. والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد، وقيل: الرافع الله والمرفوع العمل أي العمل الصالح يرفعه الله ، وفيه إشارة إلى أن العمل يتوقف على الرفع والكلم الطيب يصعد بنفسه ، وقيل : العمل الصالح يرفع العامل ويشرفه أي من أراد العزة فليعمل عملاً صالحاً فإنه هو الذي يرفع العبد" [75].

ولمكانة العمل الصالح وفاعله العظيمة عند الله أخبرنا تعالى أن السماء والأرض تبكي حال انقطاعها لوفاة فاعلها، يقول تعالى:

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)[76]

"عن سعيد بن جُبير، قال: أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه; وإذا فقده مُصَلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض" [77]

إذن التوحيد والإيمان والأعمال الصالحة من فرائض ونوافل وذكر الله تعالى والعلم النافع كلها من الأعمال المسببة لرفعة الدرجات يوم القيامة .

المبحث الرابع : أثر رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

لرفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم آثار عظيمة على أمته من بعده لما في تكرار ذكره من حصول الاقتداء بأقواله وأفعاله والاهتداء بسننه وعبادته، وفي ذلك صلاح للفرد والمجتمع فيبقى أثر القدوة الحسنة وتستمر الدافعية للأعمال الصالحة وإن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا لكن سيرته حاضرة في الأذهان ، فيحصل للعبد باتباعه سنة نبيه صلى الله عليه وسلم رفعة الدرجة وقد يكافئه الله تعالى بثناء حسن لكنه غير دائم خلاف النبي عليه الصلاة والسلام فرفع ذكره دائم.

---

(73) سورة فاطر (10)

(74) المصدر السابق (20 / 445)

(75) تفسير النسفي - (3 / 163)

(76) سورة الدخان (29)

(77) (تفسير الطبري) - (22 / 34)

ويحصل للنبي عليه الصلاة والسلام استمراراً للثواب بكل عامل يستن بسنته ففي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى, كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ, لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا).

والمتبع لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام متعرض لمحبة الله تعالى فالله يقول : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[78].

إذن آثار رفع ذكر النبي عليه الصلاة والسلام عظيمة ممتدة لكل من اهتدى بهديه وأعظم بها من آثار .

المبحث الرابع : أثر رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

لرفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم آثار عظيمة على أمته من بعده لما في تكرار ذكره من حصول الاقتداء بأقواله وأفعاله والاهتداء بسننه وعبادته، وفي ذلك صلاح للفرد والمجتمع فيبقى أثر القدوة الحسنة وتستمر الدافعية للأعمال الصالحة وإن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا لكن سيرته حاضرة في الأذهان ، فيحصل للعبد باتباعه سنة نبيه صلى الله عليه وسلم رفعة الدرجة وقد يكافئه الله تعالى بثناء حسن لكنه غير دائم خلاف النبي عليه الصلاة والسلام فرفع ذكره دائم.

ويحصل للنبي عليه الصلاة والسلام استمراراً للثواب بكل عامل يستن بسنته ففي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى, كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ, لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا).

والمتبع لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام متعرض لمحبة الله تعالى فالله يقول : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[79].

إذن آثار رفع ذكر النبي عليه الصلاة والسلام عظيمة ممتدة لكل من اهتدى بهديه وأعظم بها من آثار .

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث المبارك أتطرق لأهم النتائج، وهي :

1. ظهور معالم تكريم الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ومنها اختصاصه دون سائر الخلق برقعة الذكر.
2. موضوع رفع الذكر هو استمرارية الثناء بعد الممات حتى قيام القيامة وعليه فأنه لم يرد لفظ رفع الذكر في القرآن إلا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.
3. رفع ذكر خليل الله إبراهيم عليه السلام أضيق نطاقا من رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويختص بالتشهد في الصلاة بينما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة.
4. رفع ذكر إبراهيم عليه السلام جاء في القرآن بلفظ لسان صدق وليس رفع الذكر.

[78] سورة آل عمران (31)

[79] سورة آل عمران (31)

5. ورد في القرآن الرفع لبقية الأنبياء والصالحين برفع المنزلة والدرجة سواء في الدنيا أو الآخرة.
6. تختلف رفعة الدرجة عن رفع الذكر وكلاهما ورد في القرآن الكريم في مواطن عديدة إلا رفع الذكر في موطن واحد يخص النبي عليه الصلاة والسلام.
7. يترتب رفع الدرجات في الآخرة على حسن الأعمال وقبولها من الله تعالى في الدنيا
8. رفع درجة الأنبياء بمنزلة النبوة والرسالة على سائر الخلق.
9. الاستمرارية في الأعمال الصالحة ، والحضور الذهني للقدوة الصالحة وما فيه من دافعية وحفظ للمجتمعات غبر القرون هو من آثار رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا ما تيسر بيانه ، سائلة الله تعالى الرفعة في الدارين وأن يكون هذا البحث مباركاً نافعاً لكاتبه وقارئه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت المصادر والمراجع

- تفسير العثيمين – جزء عم ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض ط:الثانية، 1423 هـ - 2002 م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية - 1420ه.
- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه :يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب-بيروت، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، 2001م.
- جامع البيان عن تأويل القرآن= تفسير الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420هـ - 2000م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد

السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ - 1964م
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى - 1422هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى - 1414 هـ.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: الخامسة، 1420هـ - 1999م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.